تحريض الشرع لولاة الأمور على مقاتَلَة الخوارج

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم –رحمني الله وإياك–أنَّ مقاتَلَة ولاة الأمور للخوارج الساعِين في الأرض بالفساد بقتْل الأبرياء معصومي الدماء، وبإهلاك الحرث والنسل، وبإخافة السبيل ونحو ذلك، اعلم أن مقاتلة هؤلاء مِن أعظم الطاعات والقربات التي يتقرَّب بها العبد إلى الله لنَيْل المكرُمات، ولبلوغ رفيع الدرجات، وقد دلَّ على مقاتلة أمثال هؤلاء أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، نختار لك بعضها لتكون على بصيرة من أمْر دينك، قال الله –عز وجل– في كتابه الكريم: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

وقد روى البخاري –رحمه الله– في صحيحه برقم (٣٣٤٤) ومسلم –رحمه الله– في صحيحه برقم [١٤٣– (١٠٦٤)] واللفظ له، عن أبي سعيد الخدري، قال: بعثَ عليٌّ –رضي الله عنه– وهو باليمن بذَهَبَةٍ في تُرْبَتِهَا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقسَمها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بين أربعة نَفَرٍ: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدرٍ الفَزاري، وعلقمة بن عُلاثة العامري ثم أحد بني كِلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نَبْهان، قال: فغضبتْ قريش، فقالوا:

أتُعطي صناديد نجدٍ وَتَدَعُنا؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**إنِّي إنما فعلتُ ذلك لأتَأَلَّفَهُم**»

وفي لفظ:«**ألا تَأْمَنُوني وأنا أمين مَن في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**» فجاء رجلٌ كثُّ اللحية، مُشْرِفُ الوَجْنَتَين، غائرُ العينين، ناتئ الجبين، وفي لفظ: "ناشز الجبهة، محلوق الرأس"

وفي لفظ: "مشمَّر الإزار" فقال: اتَّقِ الله يا محمد، وفي لفظ: فقال: يا رسول الله! اتَّقِ الله، قال: فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم–: «**فمَنْ يُطِعِ اللهَ إنْ عصيتُه، أيَأْمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**» وفي لفظ: فقال: «**وَيْلَك! أَوَلْستُ أحقَّ أهل الأرض أن يَتقيَ الله**» قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قَتْلِه (يُرَوْن أنه خالد بن الوليد) قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**إنَّ من ضِئْضِئِ**» –أي أصل– «**هذا قومًا يَقرءُون القرآن لا يُجاوِز حَنَاجِرَهم، يَقتُلُون أهلَ الإسلام وَيَدَعُونَ أهل الأوثان، يَمْرُقُون مِن الدِّين كما يَمْرُق السَّهْم مِن الرَّمِيَّة، لَئنْ أَدْرَكْتُهُم لَأَقْتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ**».

الحديث ترجم له النووي –رحمه الله–في شرحه على صحيح مسلم بقوله: "باب ذِكْر الخوارج وصِفَاتهم"

وروى البخاري في صحيحه برقم (٣٦١١) ومسلم في صحيحه برقم [١٥٤–(١٠٦٦)] واللفظ له،بسنده إلى سُوَيد بن غَفَلَة، قال:قال عليٌّ: إذا حدَّثْتُكم عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فَلَأَنْ أَخِرَّ مِن السماء أَحَبُّ إليَّ مِن أن أقول عليه ما لم يَقُل، وإذا حدَّثْتُكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خَدْعة، سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «**سَيَخرج في آخر الزمان قومٌ أَحْدَاثُ الأسنان، سُفَهاءُ الأحلام، يَقولون مِن خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، فإذا لَقِيتُموهم فاقتلوهم، فإن في قَتْلِهم أجرًا لِمَن قَتَلَهم عند الله يوم القيامة**»

وروى مسلم في صحيحه برقم [١٥٦–(١٠٦٦)] بسنده إلى سَلَمَة بن كُهَيْل: حدثني زيد بن وَهْبٍ الجُهَني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليٍّ –رضي الله عنه– الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليٌّ –رضي الله عنه–:

أيها الناس! إني سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يَخرج قومٌ مِن أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتُكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يَحْسَبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتُهم تَرَاقِيَهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة**» لو يعلم الجيش الذين يُصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم -صلى الله عليه وسلم- لاتَّكَلوا عن العمل، ... فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يَخْلُفونكم في ذراريِّكم وأموالكم؟! والله! إنِّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سَفَكوا الدم الحرام، وأغاروا في سَرْح الناس، فسِيروا على اسم الله، ... قال: فقام إليه عَبيدة السَلْماني فقال: يا أمير المؤمنين! اللهِ الذي لا إله إلا هو! لَسَمِعتَ هذا الحديث من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: إي! والله الذي لا إله إلا هو! حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف له.

الحديثان ترجم لهما النووي بقوله: "باب التحريض على قَتْل الخوارج"

وروى مسلم في صحيحه برقم [١٥٨-(١٠٦٧)] بسنده إلى عبدالله بن الصامت عن أبي ذرٍّ، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنَّ بعدي مِن أمتي**» أو (**سيكون بعدي من أُمَّتِي**) **قومٌ يقرءون القرآن لا يجاوز حَلاقِيمَهُم، يَخرُجون مِن الدين كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخَلْق والخليقة**»

فقال ابن الصامت: فلقيتُ رافِع بن عامر الغِفَاري أخا الحَكَم الغفاري، قلت: ما حديثٌ سمعتُه من أبي ذر: كذا وكذا؟ فذكرتُ له هذا الحديث، فقال: وأنا سمعتُه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الحديث ترجم له النووي بقوله: "باب الخوارج شر الخلق والخليقة"

قلتُ: إذا علمتَ هذا فاعلم أن مَن خرج على الحاكم الجديد ألا وهو المستشار عدلي بن محمود بن منصور، وخرج على الجيش والشرَطة والشعب، وسعى في الأرض بالفساد وأهلك الحرث والنسل، وقتَل النفس البريئة، وبغى في الأرض بغير الحق، ولم ير سمعًا ولا طاعة لهذا الحاكم في المعروف، وحَمَلَ السلاح، وحرَّض على مقاتلة الحاكم وجنده وأعوانه، وأخاف السبيل، فإنه خارجيٌّ ضالٌّ، أضلُّ مِن حمار أهله، فإن قُتِلَ قُتِلَ خارجيًّا طريدًا لا سنيًّا شهيدًا.

والقاعدة الشرعية أن الصائل المعتدي يجب دفعه -مع القدرة- بالأشد فالأشد، فإن لم يندفع شره إلَّا بقتْلِه قُتِل ولا كرامة، ودمه هَدَر، ولا دية له، فلْيَحذَر امرؤ أن يموت خارجيًّا ضالًّا وهو يحسَب أنه يُحْسِن صُنعًا، فإن للخوارج نصيبًا من مثل قوله -تعالى-: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}

اللهم قد بلَّغتُ، اللهم فاشهد.

هذا، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

وكتبه

أبو بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة المصري

أبو عبدالله

في عشية يوم السبت، الموافق الثامن عشر من شهر رمضان، لسنة أربعٍ وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها الصلاة والسلام.